المعهد وتحدّيات المستقبل

بقلم د. زكيّه نعيمه

مقدّمة

لو نظرنا في طبيعة الشّهادات الّتي يمنحها معهد الآداب الشّرقيّة للطّلّاب المُنتسبين إليه، لتبيّن لنا أنّ ما يجمع بينها هي اللّغة العربيّة. وبما أنّني خرّيجة هذا المعهد العريق، وكوني أكاديميّة أعمل في إحدى المؤسّسات التّربويّة العريقة في مجال البحث والتّطوير لمناهج اللّغة العربيّة في لبنان وعددٍ كبير من الدّول العربيّة والأجنبيّة، ستتمحور كلمتي حول تحدّيات المستقبل المتعلّقة باللّغة العربيّة تعلّمًا وتعليمًا. هذه اللّغة الّتي تواجه اليوم تحدّياتٍ داخليّةً وخارجيّةً مختلفةً. ففي قلب الزّحف الإلكترونيّ، تظهر اللّغة الإنكليزيّة لغةً مهيمنةً حائلةً دون أداء سائر اللّغات دورها التّواصليّ، حتّى بين الشّعوب المتكلّمين بها. نحن إذًا في أزمة: أهِيَ أزمةُ اللّغةِ أم أزمةُ المجتمعِ أم أزمة التّعليم؟ وكيف يمكن لمعهد الآداب الشّرقيّة مواجهة تحدّيات المستقبل؟

أوّلًا: نبذة تاريخيّة

اللّغة العربيّة هي من أكثر اللّغات السّاميّة استخدامًا وانتشارًا على الأرض، إذْ يتحدّث بها أكثر من 400 مليون إنسانٍ[1]. وقد اعتمدت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة بموجب القرار الرّقم 3190 في دورتها الـ 28، اللّغةَ العربيّةَ لغة عملٍ رسميّةً، لتكون بذلك إحدى اللّغات السّتّ الّتي تعمل بها الأمم المتّحدة. فمنذُ العامِ 1973[2]، حُدّدَ يوم الثّامن عشر من شهر كانون الأوّل اليومَ العالميَّ للّغة العربيّة. وفي الأوّل من كانون الثّاني 1983، باتت اللّغة العربيّة لغةً رسميّةً في مجلس الأمن والمجلس الاقتصاديّ والاجتماعيّ، بناءً على قرار الجمعيّة العامّة الرّقم 219 في دورتها الـ 35 المؤرّخة في 17 كانون الأوّل 1980[3]. ونالت اللّغة العربيّة إعجاب المستشرقين، إذ سألت المستشرقة الألمانيّة زيغريد هونكه Sigrid Hunke نفسها قائلةً: "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللّغة ومنطقها السّليم وسحرها الفريد؟" كذلك قال المستشرق الفرنسيّ لويس ماسّينيون Louis Massignon: "اللّغة العربيّة هي الّتي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ. والعربيّة من أنقى اللّغات. فقد تفرّدت في طرائق التّعبير العلميّ والفنّيّ".

ما موقع اللّغة العربيّة في القرن الحادي والعشرين؟ أو بالأحرى: ما موقع الإنسان العربيّ من اللّغة العربيّة؟ فاللّغة ليستْ سوى أداةِ تواصلٍ فحسبْ. الإشكاليّة إذًا تكمن في النّاطق بهذه اللّغة وليس في اللّغة نفسها.

ثانيًا: التّحديّات

التّحدّيات الّتي تواجه تعلّم وتعليم اللّغة العربيّة عديدة. ويجوز جمعها تحت عنوانين اثنين:

1. تحدّيات داخليّة

1 - https://www.unesco.org/en/days/world-arabic-language

2 - م. ن.

3 - عبد الحميد، أشرف. *كيف ساهمت السّعوديّة ومصر في اعتماد "العربيّة" أمميًّا*. https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2016/12/19/

وتتمثّل في الأزمة الحضاريّة الّتي يعيشها العالم العربيّ. فإنّنا نسمع مَن يدعو إلى هجر اللّغة الفصحى واعتماد اللّهجات المحكيّة بديلًا، أو مزج الفصحى بالعاميّة بحجّة التّسهيل. وثمّة مَن يدعو إلى اعتماد اللّغة الأجنبيّة بديلًا. ويأتي الخطر الأكبر على هذه اللّغة من بعض مَن يعيشون بيننا وينطقون بلساننا، ولكنّهم يدعون إلى نبذ هذه اللّغة، أو استبدال العامّيّات أو اللّغات الأوروبيّة الحديثة بها تحت شعار الدّعوة إلى التّقدّم والتّطور.

2. تحدّيات خارجيّة

أمّا التّحدّيات الخارجيّة، فتتمثّل في مزاحمة اللّغات الأخرى للّغة العربيّة، فضلًا عن الغزو الفكريّ الوافد من الأمم الأخرى، والمتمثّل أخيرًا في العولمة حيث يبدو أحيانًا وكأنّها تريد ابتلاع ثقافات الأمم والشّعوب والقضاء على هذا التّنوّع اللّسانيّ في العالم[4]. ولعلّ أبرز التّحدّيات الخارجيّة الّتي تواجهنا كما تواجه المعهد في هذا الإطار هي الآتية:

أ. نقص حادّ في مدرّسِي مادّة اللّغة العربيّة، وعدم اعتمادهم الفصحى وسيلةَ تواصل في الصّفوف، فضلًا عن تراجع مستواهم لغةً وثقافةً، وتدنّي رواتبهم مقارنة برواتب مدرّسِي الرياضيّات والموادّ الأخرى.

ب. عدم تطوير المناهج بما يتناسب مع ما يتطلّبه العصر وغياب التّكنولوجيا المتقدّمة أو قلّتها في عمليّتَي التّعلّم والتّعليم. وقد ظهر ذلك بوضوح خلال جائحة كورونا.

أمّا الأسباب الّتي تدفعنا إلى البحث في التّحدّيات المستقبليّة الّتي يمكن أن يواجهها المعهد والمتعلّقة باللّغة العربيّة تحديدًا، فهي الآتية:

السّبب الأوّل: للّغة العربيّة وظيفة اجتماعيّة مهمّة. فهي اللّغة الّتي نتواصل بواسطتها من المحيط إلى الخليج. وإنّ المحافظة عليها هي مسؤوليّة قوميّة لبقاء التّواصل والتّلاحم بين النّاطقين بها.

السّبب الثّاني: يعود إلى تراثنا الأدبيّ المتنوّع الّذي نفتخر به، ويستحيل التّواصل مع هذا التّراث العريق إلّا من خلال اللّغة العربيّة.

السّبب الثّالث: هو سبب إنسانيّ بحت؛ فاللّغة العربيّة ثروة ثقافيّة للإنسانيّة قاطبة.

ثالثًا: مواجهة وحلول مُقترحة

بناءً على ما تقدّم، كيف يواجه معهد الآداب الشّرقيّة هذه التّحديّات، مساهِمًا في الرّفع من شأن اللّغة العربيّة وتطوير تعليمها؟ لمعالجة هذا السّؤال، سنتكلّم في ما يأتي على مسألة الكفاية، وسنحاول اقتراح بعض الحلول، لعلّ أهمّها العمل على تحسين كفاية مدرّسِي اللّغة العربيّة فضلًا عن الآتي:

أ. التّنسيق بين معهد الآداب الشّرقيّة ووزارة التّربية والتّعليم العالي وكلّيّة إعداد المعلّمين، من أجل إعداد متخرّجين (مدرّسِين) يتميّزون عن غيرهم معرفةً وكفايةً وخبرةً وتدريبًا، والعمل على تحسين أجورهم.

4 - زنجير، محمّد رفعت. *التّحديّات الّتي تواجه اللّغة العربيّة في العصر الحديث*. https://machahid24.com/etudes/96310.html

ب. إعداد خطّة تدريبيّة محكمة تغطّي الأساليب التّكنولوجيّة الحديثة، إلى جانب طرائق التّعليم في جميع المراحل والصّفوف.

ت. فتح قنوات حوار مع مركز البحوث والإنماء للعمل على إعادة صياغة مناهج اللّغة العربيّة وسائر العلوم الإنسانيّة بشكل جدّيّ ورصين لتعكس متطلّبات هذا العصر وتحافظ على سلامة اللّغة.

ث. مساهمة معهد الآداب الشّرقيّة في العمل على تطوير المعاجم العلميّة والتّقنيّة والحدّ من العقبات الّتي تقف عائقًا أمام الباحثين من خلال إيجاد المصطلحات العلميّة والتّكنولوجيّة الحديثة.

ج. مراجعة معايير قبول الطّلّاب المتقدّمين للالتحاق في معهد الآداب الشّرقيّة، وتدريبهم على المصالحة مع الذّات بهدف تخطّي الغربة اللّغويّة والثّقافيّة.

خاتمة

هذه المقترحات ليست سوى محاولة لرسم خارطة طريق من شأنها أن تُعين المعهد في سعيه إلى مواجهة تحدّيات المستقبل المختلفة ومن بينها القضايا الّتي تتعلّق بواقع اللّغة العربيّة فيه. ويبقى القول إنّ التّقدّم في طريق المستقبل لا يمكن أن يتحقّق إلّا من خلال الإيمان الرّاسخ بقدرة هذه اللّغة على مواجهة التّحدّيات ومواكبة تغييرات العصر، لكي تظلّ رمزًا لهويّة حضاريّة متسامحة ومنفتحة على الآخر، واثقة بذاتها وفخورة بتنوّعها.

المصادر والمراجع العربيّة والأجنبيّة

1. زنجير، محمّد رفعت. *التّحدّيات الّتي تواجه اللّغة العربيّة في العصر الحديث*. https://machahid24.com/etudes/96310.html
2. – عبد الحميد، أشرف. كيف ساهمت السّعوديّة ومصر في اعتماد "العربيّة" أمميًّا. https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2016/12/19
3. موقع اليونسكو الإلكترونيّ. https://www.unesco.org/en/days/world-arabic-language

4. – Ross, Jennifer. “The beauty of the exotic Arabic language”. https://www.theamericanreporter.com/the-beauty-of-the-exotic-arabic-language
5. Hanson, Melanie. “College Enrollment & Student Demographic Statistics” EducationData.org, July 26, 2022, https://educationdata.org/college-enrollment-statistics